

## محمود درويش ثلاث قصائد\*

كان ينقصنا حاضر  
لنذهب كما نحن:  
سيدة حرة  
وصديقاً وفيّاً،  
لنذهب معاً في طريقين مختلفين  
لنذهب كما نحن متّحدين  
ومنفصلين،  
ولا شيء يوجعنا  
لا طلاق الحمام ولا البرد بين اليدين  
ولا الريح حول الكنيسة توجعنا ...  
لم يكن كافياً ما تفتّح من شجر اللوز  
فابتسمي يزهر اللوز أكثر  
بين فراشات غمازتين  
وعماً قليل يكون لنا حاضر آخر  
إن نظرت وراءك لن تبصري  
غير منفي وراءك:  
غرفة نومك،  
صفصافة الساحة،  
النهر خلف مباني الزجاج،  
ومقهى مواعيدنا... كلّها، كلّها  
تستعد لتصبح منفي، إذاً  
فلنكن طبيين!

\* من ديوان جديد للشاعر بعنوان "سرير الغريبة" يصدر قريباً عن شركة رياض الرئيس للكتب والنشر.

لِنَذْهَبْ كَمَا نَحْنُ:

إِنْسَانَةً حُرَّةً

وَصَدِيقًا وَفِيًّا لِنَايَاتِهَا،

لَمْ يَكُنْ عُمُرُنَا كَافِيًا لِنَشِيخٍ مَعًا

وَنَيْسِرَ إِلَى السَّيْنَمَا مَتَعْبِينَ

وَنَشْهَدَ خَاتِمَةَ الْحَرْبِ بَيْنَ أَثِينَا وَجَارَاتِهَا

وَنَرَى حَفْلَةَ السَّلَامِ مَا بَيْنَ رُومَا وَقَرْطَاجِ

عَمَّا قَلِيلٍ.

فَعَمَّا قَلِيلٍ سَتَنْتَقِلُ الطَّيْرُ مِنْ زَمَنِ نَحْوِ آخِرٍ،

هَلْ كَانَ هَذَا الطَّرِيقُ هَبَاءً

عَلَى شَكْلِ مَعْنَى، وَسَارَ بِنَا

سَفْرًا عَابِرًا بَيْنَ أُسْطُورَتَيْنِ

فَلَا بَدُّ مِنْهُ، وَلَا بَدُّ مِنَّا

غَرِيبًا يَرَى نَفْسَهُ فِي مَرَايَا غَرِيبَتِهِ؟

”لَا، لَيْسَ هَذَا طَرِيقِي إِلَى جَسَدِي

”لَا حُلُولَ ثَقَافِيَّةً لَهُمُومٍ وَجُودِيَّةً

”أَيْنَمَا كُنْتَ كَانَتْ سَمَائِي

حَقِيقِيَّةً

”مَنْ أَنَا لِأَعِيدَ لَكَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ السَّابِقِينَ

فَلِنَكُنْ طَيِّبِينَ...

لِنَذْهَبْ، كَمَا نَحْنُ:

عَاشِقَةً حُرَّةً

وَشَاعِرَهَا.

لَمْ يَكُنْ كَافِيًا مَا تَسَاقَطَ مِنْ

ثَلْجِ كَانُونَ أَوَّلَ، فَابْتَسَمِي

يَنْدِفُ الثَّلْجُ قَطْنًا عَلَى صَلَوَاتِ الْمَسِيحِيِّ،

عَمَّا قَلِيلٍ نَعُودُ إِلَى غَدِنَا، خَلْفَنَا،

حَيْثُ كُنَّا هُنَاكَ صَغِيرِينَ فِي أَوَّلِ الْحَبِّ،  
 نَلْعَبُ قِصَّةَ رُومِيُو وَجُولِيِيْتِ  
 كِي نَتَعَلَّمُ مَعْجَمَ شِيكْسْبِير...  
 طَارَ الْفَرَّاشُ مِنْ النُّوْمِ  
 مِثْلَ سَرَابٍ سَلَامٍ سَرِيْعٍ  
 يُكَلِّلُنَا نَجْمَتَيْنِ  
 وَيَقْتُلُنَا فِي الصَّرَاعِ عَلَى الْاِسْمِ  
 مَا بَيْنَ نَافِذَتَيْنِ  
 لِنَذْهَبَ، إِذَا  
 وَلِنَكُنَّ طَيِّبَيْنِ

لِنَذْهَبَ، كَمَا نَحْنُ:  
 إِنْسَانَةً حُرَّةً  
 وَصَدِيْقًا وَفِيًّا،  
 لِنَذْهَبَ كَمَا نَحْنُ. جُنْنَا  
 مَعَ الرِّيْحِ مِنْ بَابِلِ  
 وَنَسِيْرٍ إِلَى بَابِلِ...  
 لَمْ يَكُنْ سَفَرِي كَافِيًّا  
 لِيَصِيْرَ الصَّنُوْبِرِ فِي أَثْرِي  
 لِفِظَةِ لَمْدِيْحِ الْمَكَانِ الْجَنُوْبِيِّ  
 نَحْنُ هُنَا طَيِّبُونَ. شِمَالِيَّةٌ  
 رِيْحُنَا، وَالْأَغَانِي جَنُوْبِيَّةٌ  
 هَلْ أَنَا أَنْتِ أُخْرَى  
 وَأَنْتِ أَنَا أُخْرَى؟  
 "لَيْسَ هَذَا طَرِيْقِي إِلَى أَرْضِ حُرِّيَّتِي  
 لَيْسَ هَذَا طَرِيْقِي إِلَى جَسَدِي  
 وَأَنَا، لَنْ أَكُوْنَ "أَنَا" مَرَّتَيْنِ  
 وَقَدْ حَلَّ أَمْسٍ مَحَلَّ غَدِي

وانقسمتُ الى امرأتين  
 فلا أنا شرقيةٌ  
 ولا أنا غربيةٌ،  
 ولا أنا زيتونةٌ ظللتُ آيتين  
 لنذهب، إذا.  
 "لا حلولَ جماعيةً لهواجسَ شخصيةٍ  
 لم يكن كافياً أن نكون معاً  
 لنكون معاً...  
 كان ينقصنا حاضرٌ لنرى  
 أين نحن. لنذهب كما نحن،  
 إنسانةً حرةً  
 وصديقاً قديماً  
 لنذهب معاً في طريقين مختلفين  
 لنذهب معاً،  
 ولنكن طبيين..."

### طائران غريبان في ريشنا

سمائي رماديةٌ. حُكَّ ظهري. وفكَّ  
 على مهل، يا غريب، جدائل شعري. وقلُّ  
 لي في م تفكّر. قل لي ما مرَّ  
 في بال يوسف. قل لي بعض الكلام  
 البسيط... الكلام الذي تشتهي امرأةٌ  
 أن يُقال لها دائماً. لا أريد العبارة  
 كاملة. أكتفي بالإشارة تنثُرني في مهبِّ  
 الفراشات بين الينابيع والشمس. قل لي  
 إنني ضروريةٌ لك كالنوم، لا لامتلاء  
 الطبيعة بالماء حولي وحولك. وابسطُ  
 عليّ جناحاً من الأزرق اللانهائي...

إِنَّ سَمَائِي رَمَادِيَّةٌ،  
 ورماديَّةٌ مثل لَوْحِ الكِتَابَةِ، قَبْلَ  
 الكِتَابَةِ. فَكُتِبَ عَلَيْهَا بِحَبْرِ دَمِي أَيُّ  
 شَيْءٍ يُغَيِّرُهَا: لَفْظَةٌ... لَفْظَتَيْنِ بَلَا  
 هَدَفٍ مُسْرِفٍ فِي الْمَجَازِ. وَقُلْ إِنَّا  
 طَائِرَانِ غَرِيبَانِ فِي أَرْضِ مِصْرَ وَفِي  
 الشَّامِ. قُلْ إِنَّا طَائِرَانِ غَرِيبَانِ فِي  
 رِيشِنَا. وَكُتِبَ اسْمِي وَاسْمُكَ تَحْتَ  
 العِبَارَةِ. مَا السَّاعَةُ الْآنَ؟ مَا لَوْنُ  
 وَجْهِ وَوَجْهَكَ فَوْقَ المَرَايَا الجَدِيدَةِ؟  
 مَا عُدْتُ أَمْلِكُ شَيْئاً لِيُشْبِهَنِي. هَلْ  
 أَحْبَبْتَكَ سَيِّدَةُ المَاءِ أَكْثَرَ؟ هَلْ رَاوَدْتَكِ  
 عَلَى صَخْرَةِ البَحْرِ عَنِ نَفْسِكَ، اعْتَرَفِ  
 الْآنَ أَنَّكَ مَدَدْتِ تِيهَكَ عِشْرِينَ عَاماً  
 لَتَبْقَى أُسِيرَ يَدَيْهَا. وَقُلْ لِي فِي مَ  
 تَفَكَّرُ حِينَ تَصِيرُ السَّمَاءُ رَمَادِيَّةً اللُّون...

إِنَّ سَمَائِي رَمَادِيَّةٌ  
 صرْتُ أَشْبَهُ مَا لَيْسَ يَشْبِهَنِي.  
 هَلْ تَرِيدُ الرُّجُوعَ إِلَى لَيْلِ مَنْفَاكَ  
 فِي شَعْرِ حُورِيَّةٍ؟ أَمْ تَرِيدُ الرُّجُوعَ  
 إِلَى تَيْنِ بَيْتِكَ. لَا عَسَلٌ جَارِحٌ لِلْغَرِيبِ  
 هُنَا أَوْ هُنَاكَ. فَمَا السَّاعَةُ الْآنَ؟  
 مَا اسْمُ الْمَكَانِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ؟ وَمَا  
 الْفَرْقُ بَيْنَ سَمَائِي وَأَرْضِكَ. قُلْ لِي  
 مَا قَالَ آدَمُ فِي سَرِّهِ. هَلْ تَحَرَّرَ  
 حِينَ تَذَكَّرَ. قُلْ أَيُّ شَيْءٍ يُغَيِّرُ لَوْنَ  
 السَّمَاءِ الرَّمَادِيِّ. قُلْ لِي بَعْضَ الكَلَامِ  
 البَسِيطِ، الكَلَامِ الَّذِي تَشْتَهِي امْرَأَةٌ

أَنْ يُقَالَ لَهَا بَيْنَ حَيْنٍ وَآخِرٍ. قُلْ  
 إِنَّ فِي وَسْعِ شَخْصِينَ، مِثْلِي وَمِثْلِكَ،  
 أَنْ يَحْمَلَا كُلُّ هَذَا التَّشَابِهَ بَيْنَ الضَّبَابِ  
 وَبَيْنِ السَّرَابِ، وَأَنْ يَرْجِعَا سَالِمِينَ. سَمَائِي  
 رَمَادِيَّةٌ، فَبِمَاذَا تَفَكَّرُ حِينَ تَكُونُ السَّمَاءُ  
 رَمَادِيَّةً؟

### سوناتا [I]

إِذَا كُنْتُ آخِرَ مَا قَالَهُ اللَّهُ لِي، فَلْيَكُنْ  
 نَزْوُكَ نُورًا أَلَّ "أَنَا" فِي الْمُتَنَّى. وَطُوبَى لَنَا  
 وَقَدْ نُورُ اللُّوزِ فِي أَثَرِ الْعَابِرِينَ، هُنَا  
 عَلَى ضَفْتَيْكَ، وَرَفَّ عَلَيْكَ الْقَطَا وَالْيَمَامُ

بِقَرْنِ الْغَزَالِ طَعَنْتِ السَّمَاءَ، فَسَالَ الْكَلَامُ  
 نَدَى فِي عُرُوقِ الطَّبِيعَةِ. مَا اسْمُ الْقَصِيدَةِ  
 أَمَامَ ثُنَائِيَّةِ الْخَلْقِ وَالْحَقِّ، بَيْنَ السَّمَاءِ الْبَعِيدَةِ  
 وَأَرزِ سَرِيرِكَ، حِينَ يَحْنُ دَمٌ لَدَمٍ، وَيَبْنُ الرِّخَامُ؟

سَتَحْتَاجُ أُسْطُورَةَ لِلتَّشْمُسِ حَوْلِكَ. هَذَا الزَّحَامُ  
 إِلَهَاتُ مِصْرَ وَسُومَرَ تَحْتَ النَّخِيلِ يُغَيِّرُنَ أَثْوَابَهُنَّ  
 وَأَسْمَاءَ أَيَّامَهُنَّ، وَيَكْمَلُنَ رِحَالَتَهُنَّ إِلَى آخِرِ الْقَافِيَةِ...

وَتَحْتَاجُ أَنْشُودَتِي لِلتَّنْفُسِ: لَا الشَّعْرُ شَعْرٌ  
 وَلَا النُّثْرُ نَثْرٌ. حَلَمْتُ بِأَنَّكَ آخِرُ مَا قَالَهُ  
 لِي اللَّهُ حِينَ رَأَيْتَكُمَا فِي الْمَنَامِ، فَكَانَ الْكَلَامُ...

### سوناتا [II]

لِعَلِّكَ حِينَ تُدِيرِينَ ظِلَّكَ لِلنَّهْرِ لَا تَطْلُبِينَ

مِنَ النَّهْرِ غَيْرِ الْغُمُوضِ. هُنَاكَ خَرِيفٌ قَلِيلٌ  
يُرْشُّ عَلَى ذِكْرِ الْأَيْلِ الْمَاءِ مِنْ غَيْمَةٍ شَارِدَةٍ  
هُنَاكَ، عَلَى مَا تَرَكَتْ لَنَا مِنْ فُتَاتِ الرَّحِيلِ

غَمُوضُكَ دَرَبُ الْحَلِيبِ. غَبَارُ كَوَاكِبِ لَا اسْمَ لَهَا  
وَلَيْلٌ غَمُوضُكَ فِي لَوْلُو لَا يَضِيءُ سِوَى الْمَاءِ،  
أَمَّا الْكَلَامُ فَمِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَضِيءَ بِمَفْرَدَةٍ وَاحِدَةٍ  
”أَحْبَبُكَ“، لَيْلَ الْمَهَاجِرِ بَيْنَ مَعْلَقَتَيْنِ وَصَفِيَّ نَخِيلِ

أَنَا مَنْ رَأَى غَدَهُ إِذْ رَأَى. أَنَا مَنْ رَأَى  
أَنَا جِيلَ يَكْتُبُهَا الْوَثْنِيُّ الْأَخِيرُ عَلَى سَفْحِ جَلْعَادِ  
قَبْلَ الْبِلَادِ الْقَدِيمَةِ أَوْ بَعْدَهَا. وَأَنَا الْغَيْمَةُ الْعَائِدَةُ  
إِلَى تِينَةٍ تَحْمِلُ اسْمِي، كَمَا يَحْمِلُ السِّيفُ وَجْهَ الْقَتِيلِ

لَعَلَّكَ، حِينَ تُدِيرِينَ ظِلَّكَ لِي، تَمْنَحِينَ الْمَجَازَ  
وَقَائِعَ مَعْنَى مَا سَوْفَ يَحْدُثُ عَمَّا قَلِيلًا...

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)  
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>